مَوْسُوعَةُ

فَوَائِدِ القُرآن الزكِيَّة

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

أ.د خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

موسوعة فوائد

القرآن الزكية

سورة التكاثر

أ.د. خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

فوائد سورة التكاثر

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾

ابتدأت سورة التكاثر بتقرير ما هو عليه الإنسان من محبته للاستكثار من الدنيا، فقال الله تعالى ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ أشغلكم أيها الناس محبتكم للاستكثار من الدنيا عما يجب عليكم من طاعة ربكم، وطلب الآخرة وابتغائها. ومن دقائق البيان أن الاستكثار ورد عاماً، ليستوعب جميع مفردات أنواعه، من المال، والأولاد، والجاه، والممتلكات، وأصناف متاع الحياة الدنيا التي لا تُعد ولا تُحصى. مما يفيد أن الأصل في الحياة الدنيا ليس هو الانشغال بملذاتها، بل الأصل فيها أن يشتغل الإنسان بطاعة ربه، وأن يأخذ من الدنيا ما يكفيه، ولا يجعلها تستأثر بوقته وحياته عن طاعة ربه، ومتطلبات الآخرة. وفي هذا أدق التنظيم لحياة الإنسان. وبما يبين أن الحياة الدنيا هي من أجل العمل للآخرة، باعتبار أن الدنيا حياة مؤقته لكل إنسان.

وقد سَمَّى الله تعالى الانشغال بها تَلَهِّي ﴿ أَلْهَاكُمُ ﴾ والتلهي معناه الانشغال عن المهم بالشيء غير المهم. فهو صرف الوقت والجهد عن الشيء المتصف بالقيمة العظيمة، وبذله في الشيء الذي لا نفع فيه، أو أن قيمته زهيدة جداً. واستوعب التلهي، جانب الوقت، سواء بالمباحات أو المحرمات، وكذلك الجهد المبذول فيه. فهي دلالة عميقة المعنى والاستيعاب للمراد بكل دقة. وهذا من دقة البيان في القرآن وعظمته.

ومن دقائق البيان الكريم أن الله تعالى لم يحدد مقدار ونوع التكاثر ولا التلهي، ليستوعب المقادير والأنواع جميعها، التي تُشغل العبد عما خُلق من أجله، وهي عبادة ربه عَزَّ وجل. وهذا من دقائق وبلاغة البيان وعظمته، وإعجاز أسلوبه، ومقاصده، ومعالجته للطبيعة البشرية. وأفادت دلالة ﴿ التَّكَاثُرُ ﴾ محبة الزيادة المتتالية، التي تفيد أنه التكاثر المتعاقب الذي لا ينتهي، فكلما استحوذ المرء على شيء أحب الزيادة منه. كما قال صلى الله عليه وسلم (لو كان لابن آدم وادٍ من ذهب، أحب أن له وادياً آخر، ولن يملأ فاهُ إلا التراب،

والله يتوب على من تاب)[١] وفي هذا بيان للطبيعة الإنسانية التي يهذبها الدين وينظمها ويضبطها بشريعته، ليعلم كل أحد أن هذا الدين هو نعمة عظيمة من الله تعالى للإنسان في كل شؤنه.

ثم يخبر الله تعالى باستمرار وتمادي هذا الإنسان في الانشغال بالتكاثر المتعاقب، والذي لا ينتهي حتى يُقبَر في قبره. فقال الله عَزَّ وجل ﴿ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ﴾ فألهاكم التكاثر حتى أتاكم الموت، فصرتم في المقابر، ففاتكم حينئذ حظكم في الآخرة. وهذا بيان تحذير من الرحمن الرحيم لعباده، وبيان لحالة الطمع التي يجب أن يتنبه لها الإنسان، فيضبط شأنه وأمره، بمنهج ربه سبحانه وتعالى. وفي هذا تذكير للإنسان بخاتمة الدنيا، وأنها تتجه بالإنسان للمفارقة والانقطاع عنها تماماً، ليفكر الإنسان ويُعيد حساباته وحسبانه، ويضبط تصرفاته، بأن لا ينشغل عن الآخرة بمفاتن الدنيا وغرورها الذي يساير الإنسان حتى يموت، فتنتهي حياته الدنيا.

ثم يخبر الله تعالى بأن الأمر والشأن ليس كما تعتقدون، وإنما بما ستعلمون حقيقته حينما تزورون المقابر، فَتُقبَرُون فيها، وتنتهون من دنياكم وتلهيكم فيما لا نفع لكم فيه عندما تُقبَرُون في قبوركم ويوم تقوم الساعة، فتعرفون حينها أن انشغالكم كان على غير صواب، بل كان على خطر عظيم. فيقول عَزَّ وجل ﴿ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ ليس الصواب هو ما أنتم عليه من التلهي بالتكاثر، بما سوف تعلمون من الحقائق.

فقد أفادت ﴿ كَلَّا ﴾ نفي صواب تلهي الإنسان بالتكاثر عن طاعة ربه، وعن تحصيل ثواب الآخرة. ثم يعقبه التحذير بما سيكون من العلم الذي سيعلمونه حين يُقبَرُون، حيث يعاين الحقيقة في قبره ويوم يبعثون، بأنه كان على خطأ في انشغاله عن الآخرة بمفاتن الدنيا، والاستكثار منها. قال الفراء رحمه الله تعالى: ليس الأمر على ما أنتم عليه من التفاخر والتكاثر ﴿ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ أي: سوف تعلمون عاقبة هذا [٢] بما يفيد التنبيه والتحذير. وهذا من رحمة الله تعالى بالعباد، إذ يحذرهم عما يجعلهم يخسرون نعيم الآخرة الدائم بلهو الدنيا القصير الفاني.

ثم يزداد الوعيد والتحذير والترهيب بالتكرار. فقال تعالى ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ ثم كلا سوف تعلمون ما يكون لكم في القبور من العقاب، وعند البعث والحساب والجزاء. فقد أفادت دلالة ﴿ ثُمَّ كَلَّا ﴾ تأكيد وتكرار النفي عن صحة وصواب تلهي الإنسان بالتكاثر عن طاعة ربه، وعن تحصيل ثواب الآخرة.

---

(١) البخاري، الجامع الصحيح، بر قم (٦٤٣٩) ومسلم، صحيح مسلم، برقم (١٠٤٨)

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١١٨/٢٠)

وتأكيد الوعظ بتكرار ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ الذي هو تنبيه بعد تنبيه، وتحذير بعد تحذير بما سوف يجدونه من العلم واليقين المؤكد بحقائق الدنيا وبحقائق الآخرة، وأن هذا الوعظ هو خير لهم.

ثم يتكرر التنبيه والتأكيد والتحذير من الله العزيز الحكيم، بقوله عَزَّ وجل ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ فلو أنكم علمتم حق العلم بما هو أمامكم، لما ألهاكم حبكم للتكاثر عن طاعة ربكم حتى وصلتم للمقابر. وقد أعاد الله تعالى الزجر للمرة الثالثة. وقد ابتدأ الزجر والنهي بدلالة ﴿ كَلَّا ﴾ التي أفادت تأكيد وتكرير النفي عن صحة وصواب تلهي الإنسان بالتكاثر عن طاعة ربه، وعن تحصيل ثواب الآخرة. ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ ﴾ فيما لو تحقق لكم العلم بما هو قادم في القبور ويوم البعث، والذي اتصف بأنه ﴿ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ أي: العلم المطابق للحقائق التي تكون في القبور ويوم البعث، وهي رؤية عذاب النار ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾ التي سوف ترونها، وهي جهنم التي تتلظى لمن يراها. فلو تحقق لكم هذا العلم اليقيني لما أشغلكم التلهي بالتكاثر عن طاعة ربكم. فاحذروا ذلك اليوم الذي يكون فيه العلم يقيناً لا شك ولا مراء فيه.

ثم يؤكد الله تبارك وتعالى رؤية الذين ألهاهم التكاثر عن طاعة ربهم سبحانه وتعالى للجحيم. فقال عَزَّ وجل ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ فهذا تأكيد لما سبق بأنكم أيها اللاهون بالتكاثر عن طاعة ربكم، وعن العمل للآخرة لترون الجحيم ﴿ عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ رؤية مؤكدة بأعينكم، فتعاينون الجحيم يقيناً على الحقيقة التي لا شك ولا مراء فيها. وأنكم كذلك ستحاسبون عن تنعمكم الذي التهيتم به عما يجب عليكم. فقال تعالى ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ ثم أيها الملتهون بالتكاثر عن الآخرة ﴿ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ ﴾ فإنكم ستسألون حين رؤيتكم الجحيم ﴿ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ أي: عن جميع ما تنعمتم به، فألهاكم عن طاعة ربكم، وعن الآخرة. وقد استوفت دلالة ﴿ ٱلنَّعِيمِ ﴾ جميع أنواع ما تنعموا به من لذائذ الدنيا، باستخدامهم الصحة والفراغ والأمن والغذاء في التلهي بالمعصية عن طاعة الله تعالى.

مما يفيد قوة التحذير بقوة التأكيد عن السؤال عن النعيم، والمحاسبة على من استخدمها في المعصية، والالتهاء بها عن طاعة الله تعالى الذي خُلِقُوا من أجلها كما قال الله تعالى في سورة الذاريات ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ إن الغاية من خلق الجن والإنس، وما بعث من الرسل إليهم، وأنزل الكتب معهم إلا لمقصد واحد فقط، وهو عبادة ربهم وحده لا شريك له، وفق ما أمر وشرع.

فقد قصر وحصر سبحانه وتعالى الغاية من خلقهم في غاية واحدة فقط، وهي ﴿ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ فقط لعبادتي، وليس لشيء آخر. ولتستوفي هذه العبادة: توحيده عَزَّ وجل، وإفراده بالعبادة، والإخلاص له سبحانه وتعالى، ومحبته، واتباع شرعه. وذلك بالإنابة إليه، والإعراض عما سواه، فتكون العبادة وفق ما شرع. وفي تقديم الجن على الإنس ما يفيد المبالغة، بأنه يا أيها الإنسان الْمُخَاطَب: فإنه حتى الجن قد خلقهم ربكم سبحانه وتعالى لعبادته، فاسبق إلى الامتثال لربك. فكيف تلتهون بالتكاثر عن الغاية التي خلقتكم من أجلها، وهي أن تعبدوا ربكم عَزَّ وجل بما أمر وشرع.

وأحمد الله تعالى وأشكره على ما أنعم به عليَّ من شرف هذا العمل، فوفقني على إتمام سورة التكاثر. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتُب علينا إنك أنت التواب الرحيم. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله أجمعين.